روزاليوسف الصباح

أسرار السينما العربية

إعداد/ خالد دردير

نجمة إبراهيم.. «ملكة الرعب» التي كانت «تخاف من خيالها»

نجمة إبراهيم في فيلم «اسماعيل يس يقابل ريا وسكينة» مع زوزو حمدي الحكيم ورياض القصبجي وسعيد خليل

.. وفي «أنا الماضي» مع زكي رستم

مشهد من «اليتيمتين»

.. وفي «أربع بنات وضابط»

أشهر مصطلحاتها «الولية عضت إيدي وأنا بخنقها.. تقولش عدوتها؟» و«محدش بياكلها بالساهل» في «ريا وسكينة» و«حتى أنت يا أعرج بتحب» التي قالتها لابنها في فيلم «اليتيمتين»

.. ومشهد من «رقصة الوداع» مع محمد توفيق

«الولية عضت إيدي وأنا بخنقها.. تقولش عدوتها؟».. قالتها الشخصية السينمائية «ريا» السفاحة التي مارست القتل عن عمد في الإسكندرية دون رحمة أو شفقة..

هكذا استنكرت وتعجبت «ريا» أن سيدة بريئة من اللاتي تريد قتلهن «عضلها» في يدها.

يعرفها الجميع «ريا» أخت «سكينة»، التي تجعلك حين ترى فيلمها في ليلة بائسة لا تنام ليال كاملة خوفًا من تلك النظرة الشريرة، والصوت القاسي، والقلب الميت، والملامح المخيفة، بينما يعرّفها الأرشيف السينمائي باسم نجمة إبراهيم، الممثلة صاحبة التاريخ الفني الكبير..

ربما لو رأتها «ريا» الحقيقية وهي تجسد دورها في السينما لقالت إن «تلك السيدة أكثر شرًا مني»، هكذا سيكون حالك إذا رأيت الفيلم الشهير «ريا وسكينة»، لكن الواقع يختلف تمامًا عن تلك القصة السيئة، لأن «نجمة» التي قدمت أدوار الشر ببراعة، لم تكن هكذا يومًا في حياتها.

ولدت في 25 فبراير 1914، واسمها الحقيقي نجمة إبراهيم وفقًا لما نشره موقعي «الأهرام» و«السينما دوت كوم»، بينما ذكر موقع «اليوم السابع»، أن اسمها الحقيقي بوليتي أوديون.

ترجع أصولها إلى أسرة يهودية مصرية.

درست في مدرسة الليسيه في القاهرة، لكنها لم تكمل تعليمها، بسبب رغبتها في العمل بالفن.

بدأت حياتها الفنية على مسرح الريحاني، وكانت في ذلك الوقت تغني وترقص وتلقي المونولوجات.

نجمة ابراهيم

كانت مغنية ناجحة، وكانت أحلامها تتلخص في منافسة منيرة المهدية في الغناء المسرحي، أو أم كلثوم في الطرب، وقال محمد شكري في كتابه «السجل المصري للمسرح والسينما» عن تلك الفترة في حياة «نجمة»: «كانت تلقى المقطوعات المطربة والمنولوجات الاجتماعية ذات الصبغة الأخلاقية وكانت تقابل في كل مرة تقف فيها على المسرح بعاصفة من التصفيق إعجابا، ولو لم تكن ممثلة لكانت أم كلثوم أخرى».

انضمت عام 1929 إلى فرقة فاطمة رشدي، وعملت فيها كمطربة، شاركت بالغناء في مسرحية «شهرزاد»، و«العشرة الطيبة» لسيد درويش، وسافرت مع الفرقة إلى العراق وقدمت أول دور مسرحي في حياتها بعنوان «ابن السفاح».

شجعها على التمثيل أختها الكبرى غير الشقيقة سيرينا إبراهيم، التي كانت رائدة من رائدات المسرح في ذلك الوقت، فكانت تصطحب معها أختها الصغيرة إلى المسرح حيث تعلقت بتلك الهواية، واعتلت خشبة المسرح وهي في التاسعة من عمرها، وفقا لما ذكره «شكري» في كتابه.

انضمت عام 1932 إلى فرقة بديعة مصابني وبدأت العمل كممثلة، وشاركت بشارة واكيم في عدد من المسرحيات.

في بداية الثلاثينات كان هناك أزمة اقتصادية أدت إلى قلة الإنتاج الفني، فاضطرت إلى العمل في مجلة «اللطائف المصورة»، التي كان يصدرها في ذلك الوقت إسكندر مكاريوس.

أثناء عملها في «اللطائف المصورة» نشأت علاقة عاطفية بينها وبين أحد العاملين هناك، وهو ما شجعها على اعتناق الإسلام كي تتزوجه.

أشهرت إسلامها في 4 يوليو 1932، لكنها لم تتزوج من زميلها حيث أنهما انفصلا قبل إتمام مراسم الزواج، وهناك أخبار تقول إن إشهارها لإسلامها شيء غير مؤكد ويقال إنها ماتت يهودية.

34، تداولت بعض المدونات وثيقة وصفوها بـ«النادرة» تفيد تقدم «نجمة» بطلب لإشهار إسلامها، ونقلها موقع جريدة «الفجر» ونقول فيه: «إنه في يوم 4-7-1932، وفي حضوري أنا وكيل شياخة الأزهر والواضح ختمي وتوقيعي أدناه وبحضور الشهود الواضعين أختامهم وتوقيعهم أدناه قامت السيدة بوليتي أوديون بنطق الشهادتين وإشهار إسلامها واختيار اسم جديد لها وهو نجمة داود إبراهيم، وطلب توثيقه ويحق لها التوقيع به وقد قدمنا الطلب إلى السيد شيخ الأزهر، وقد حدد لها 40 يومًا للمراجعة والتأكد قبل أن توثق لها الشهادة ويصدر لها التوقيع وصحته من قبل المحكمة وإخطار المحاكمة بذلك».

بعد انضمامها لفرقة «بديعة» تعرفت على زميل لها بالفرقة يدعى عبدالحميد حمدي، وكان الملقن بالفرقة الموسيقية، وتزوجته لكنهما انفصلا بعد 9 سنوات من الزواج.

عادت إلى التمثيل بعد استقرار الأوضاع الاقتصادية، وانضمت إلى الفرقة القومية التي كونتها الدولة، برئاسة الشاعر خليل مطران في نوفمبر 1935.

قدمت مع الفرقة القومية العديد من المسرحيات الناجحة، منها «قيس ولبنى»، و«العباسة»، ثم قدمت الفرقة مسرحية «مجنون ليلى» لأمير الشعراء أحمد شوقي، وقامت «نجمة» بدور غنائي وهو دور «الحاوي»، بسبب جمال صوتها.

تم ترشيحها في ذلك الوقت للسفر في بعثة إلى إيطاليا لدراسة الغناء المسرحي، لكن اهتمامها بالمسرح الدرامي طغى على اهتمامها بالمسرح الغنائي.

انضمت عام 1935 إلى فرقة حسن البارودي، وشاركت بالغناء في فيلم «تيتاووتج» عام 1937.

دى نجاحها للمسرحي إلى انتقالها للسينما، وقدمت عام 1940 أول أدوارها السينمائية في فيلم «الورشة».

في عام 1944 تعرفت على زوجها الثاني والأخير الممثل والملحن عباس يونس، وتزوجته في 28 مارس من العام نفسه.

تعرفت «نجمة» على زوجها «يونس» في بدايتها عام 1930 حينما كانت في فرقة فاطمة رشدي، لكنه لم يبح لها بمشاعره، وشاءت الأقدار أن يتزوجا بعد 14 عامًا من لقائهما.

بدأت عام 1944 الاشتراك في عروض حسن البارودي الفنية، وقدمت أفلام «من الجاني»، في نفس العام و«رابحة»، عام 1945، و«ملاك الرحمة»، عام 1946.

قدمت عام 1952 أشهر أفلامها على الإطلاق بعنوان «ريا وسكينة»، الذي جسد قصة أشهر سفاحتين في مصر، ونجحت نجاحًا مبهرًا في الدور لدرجة أن البعض كان يناديها «ريا»، نسبة إلى دورها.

نجاحها في الدور جعل الجميع ينظر إليها على أنها شخصية شريرة بالفعل، فكتبت مقالا في مجلة «الكواكب» في 12 نوفمبر 1953 بعنوان «أرتعد خوفا من ريا الحقيقية»، قالت فيه: «لقد تعود الناس أن يروني على الشاشة شريرة تحالف الشيطان، أو قاتلة تحترف الإجرام، أو قاسية القلب لا تعرف الرحمة سبيلا إلى قلبها، وكل هذا سينما مجرد أدوار تمثيلية لا أكثر، أما حياتي الخاصة فشيء آخر، وأول ما يجب أن تعلموه عني أنني أقاطع كل حفلات «البريمبير» للأفلام التي اشترك فيها في دور الشريرة أو المجرمة، ذلك لأني أخرج غاضبة ناقمة على نفسي لأنني كنت بالقسوة التي ترونها، ولأنني حين أجلس لأرى نجمة إبراهيم الممثلة نتجه عواطفي لضحاياها فيستبدني الحنق عليها، التي هي أنا، ويتمتع المتفرجون بأدائي.. إلا أنا!».

كونت فرقة مسرحية عام 1955، وقدمت من خلالها عروضا مسرحية ناجحة من أهمها مسرحية « سر السفاحة ريا» التي ألفها وأخرجها زوجها، واستمرا نجاحها في دور «ريا» لتحقيق النجاح.

تبرعت «نجمة» بإيراد حفل افتتاح فرقتها المسرحية لتسليح الجيش المصري في الخمسينات، بعد إعلان جمال عبد الناصر قراره بكسر احتكار السلاح، واستيراده من دول الكتلة الشرقية بعد رفض الغرب تسليح مصر.

حضر الرئيس الأسبق محمد أنور السادات عرض الافتتاح، وكان في ذلك الوقت، عضو مجلس قيادة الثورة، وبعد انتهاء المسرحية صعد للمسرح وصافح ممثلي الفرقة، ثم رفع يد «نجمة» تحية لها.

اشتهرت بتقديم أدوار الشر ومنها أدوارها المتعددة في «ريا وسكينة»، كما أنها الأم القاسية في فيلم «الليالي الدافئة»، عام 1962، والأم القاسية التي تتسبب في إصابة ابنها بعقدة نفسية في فيلم «اليتيمتين»، عام 1948.

لها مصطلحات شريرة مشهورة، مثل عبارة: «محدش بياكلها بالساهل»، التي قالتها في فيلم «ريا وسكينة»، وعبارة «حتى أنت يا أعرج بتحب»، التي قالتها لابنها في فيلم «اليتيمتين»، والسيدة الشريرة التي عذبت الطفلة «فيروز» في فيلم «الحرمان»، حتى أن الجميع بكى من شرها المبالغ فيه للطفلة الصغيرة.

برزت إتقانها لأدوار الشر في مقالها المنشور في «الكواكب» عام 1953، وقالت: «أعتقد أن السبب الوحيد الذي يجعلني بهذه البراعة في أدواري العنيفة الشريرة هو أنني أتمثل الشر واقعًا عليّ، فيتجسم في رأسي ويتضخم وأؤكد لنفسي أن الشر سيلحق بي إن لم أصبه على غيري، فتكون العملية عملية دفاع عن النفس، وتكون النتيجة أن يراني المشاهد في دور الشريرة، وأنا أرتعد خوفا من (ريا) الحقيقية فأحول جرمها إلى الضحايا، هذا هو السر، وهكذا أحس حين أتقمص شخصياتي التي تثير الرعب والفزع».

يطلقون عليها لقب «المتصوفة»، لأنها كانت تقيم ندوة صوفية أسبوعية تقتصر على الحديث في شؤون الدين وتدارس أحكامه وسير أعلامه.

حفظت أجزاء كاملة من القرآن الكريم مما أسهم في قدرتها على إتقان اللغة العربية الفصحى على نحو لم يتوفر لعدد كبير من زميلات جيلها، لذلك كانت تؤدي الأدوار المسرحية بإتقان شديد.

قدمت ما يقرب من 60 فيلمًا سينمائيًا، آخرها «صراع الأبطال»، عام 1962، كما قدمت عددا من المسرحيات يصل إلى حوالي 100 عرض، كان آخرها عام 1967 بعنوان «أغنية الموت».

من أشهر أدوارها بخلاف «ريا»، قدمت عام 1951 فيلم «أنا الماضي»، أمام زكي رستم، وفاتن حمامة، ولعبت فيه دور شقيقة «حامد»، الذي أدى دوره زكي رستم، حيث يسعى للانتقام من زوجين ظلماه وتسببا في دخوله السجن وعند خروجه يكتشف وفاتهما فيقرر الانتقام منهما عبر ابنتهما وتساعده في الأمر أخته، التي تؤدي دورها نجمة إبراهيم، كما قدمت عام 1954 فيلم «جعلوني مجرمًا»، أمام الفنان فريد شوقي وجسدت دور «دواعي» المرأة الشريرة التي تقود عصابة تسخر من خلالها الأطفال للتسول والسرقة.

كرمتها الدولة عام 1964 ومنحتها وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى، ومنحها السادات وسام الاستحقاق، بالإضافة إلى معاش استثنائي تقديرًا لعطائها الفني ووطنيتها النادرة.

شاركت في العديد من المسلسلات التليفزيونية ومنها «الضحية»، عام 1964، و«الساقية» عام 1965.

كانت ترى أن شكري سرحان «سوبر مان التمثيل»، وكانت معجبة بتمثيل حسين رياض على المسرح، ومحمود المليجي في السينما، وذلك نقلا عن حوارها مع مجلة «المسرح» عام 1965.

عانت في أواخر حياتها من ضعف شديد للبصر كان سيؤدي إلى فقدانها البصر نهائيا، ورغم ذلك كانت تعمل وتذهب للبروفات المسرحية في ذلك الوقت، وقدمت مسرحيتي «يا طالع الشجرة» و «ياسين وبهية»، وهي تعاني من حالة فقدان بصر شديدة تصل إلى العمى.

كان لزوجها الثاني دورًا كبيرًا في حياتها حيث ظل بجانبها حتى في أصعب لحظات حياتها، حين عانت من ضعف شديد في البصر، فكان يذهب معها إلى البروفات المسرحية، و يقرأ لها السيناريو والدور الذي تؤديه حتى تستطيع حفظه.

مع استمرار ضعف بصرها الذي حال بينها وبين أعمالها الفنية، قرر الرئيس الراحل جمال عبد الناصر علاجها على نفقة الدولة في 22 مارس 1965 بإسبانيا، وعادت مبصرة.

قالت بعد عودتها من رحلة العلاج: «كنت أخشى أن يذهب النور من عيني في الوقت الذي يشع فيه النور أمام مستقبل مسرح بلادي، فأنا أحس أن الدور أمامي طويل في هذه النهضة المسرحية، وأشعر الآن بمدى العرفان لرئيسنا العظيم الذي شمل الفنان برعايته».

رغم أنها احتفظت ببصرها واستطاعت العودة للعمل الفني، إلا أنها ذلك لم يكتمل لأنها عانت من أمراض أخرى ومنها إصابتها بالشلل مما اضطرت إلى الاعتزال نهائيًا والاختفاء عن الأضواء، لمدة 13 عامًا حتى توفيت في 4 يونيو 1976.

.. وفي «ريا وسكينة» مع ورياض القصبجي وسعيد خليل